النظام الهيدروغرافي وعلاقته بالنشاط الاقتصادي في ولاية المدية

د/ محمد مرسلي

جامعة هواري بومدين للعلوم و التكنولوجيا –الجزائر–

(أستاذ مشارك) بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة –الجزائر

تضاريس منطقة المديـة

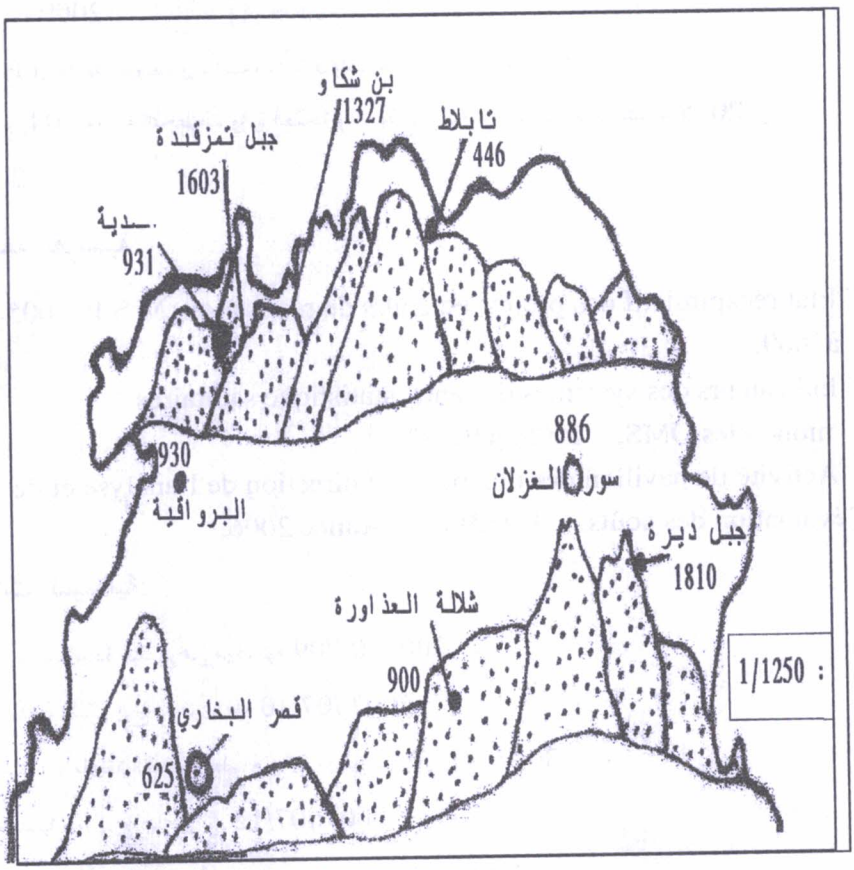

مقدمة :

تعد ولاية المدية من ضمن الولايات الفقيرة في مختلف المرافق التي ورثتها كتركة ثقيلة من الدمار الذي أحدثه الاحتلال الفرنسي ، كان لها الأثر المباشر تمثل في المعانا التي مرت بها الولاية في السنوات الأولى من استرجاع الاستقلال ، حيث لم تكن هناك مرافق اقتصادية ولا ثقافية ، ولا احتماعية ، بالمعنى الصحيح .وهي ذات طابع فلاحي رعوي ، لذلك اتبعت الدولة سياسة محو الفوارق الجهوية على المستوى الوطني للقضاء على مظاهر التخلف تدريجيا،ووضع اللبنات الأولى لانطلاق حركة التنمية الشاملة .

أ–الموقع: إن تقاطع خط عرض(**36°**)بخط طول(**3°**)شرقا يكاد يتوسط ولاية المدية، التي تحتل موقعا هاما ضمن سلسلة الأطلس التلي المتجه ، جنوب غرب شمال شرق، وهي لا تبعد عن البحر الأبيض المتوسط إلا بحوالي (**38**)كلم ، حسب خط أفقي ، تحدها من الشمال ولاية البليدة ومن الغرب ولايتي عين الدفلة وتيسمسيلت ، ومن الجنوب ولاية الجلفة ومن الشرق ولايتي المسيلة والبويرة .

ب– السطح : يتميز سطح هذه الولاية بتنوع الأشكال الطبوغرافية المتمثلة في السهول والتلال المفصولة بالأودية والشعاب والجبال ، وتكاد تتركز السهول والتلال وسط الولاية في اتجاه (غرب – شرق) موازاة بالجبال التي تحدها من الشمال (الأطلس التلي) ومن الجنوب (جبال التيطري) في نفس الاتجاه .

ويعبر سطح الولاية الطريق الوطني رقم (**1**) الممتد من الشمال إلى الجنوب والذي يعتبر من أهم الشرايين الاقتصادية الوطنية ، وكذا الأمر بالنسبة للطريق الوطني رقم (**18**) الذي يعبرها من الغرب إلى الشرق .

ج– المناخ: يعتبر مناخ هذه الولاية قاريا رغم قربها من البحر نظرا لوقوعها في ظل الرياح أي جنوب السلسلة التلية التي تحجز عنها التيارات الشمالية الغربية المحملة بالأمطار ، فصيفها حار يتجاوز أحيانا (**40°**) لاسيما في شهري (**7و8**) ، وشتاؤها بارد تنزل بها الثلوج، وتهبط درجة الحرارة إلى (**-3°**)أحيانا لاسيما في الشهر(**12و1**) من كل سنة ، وتبلغ كمية التساقط بها في المتوسط (**500**) ملم سنويا ، وفي أطرافها

الشمالية تفوق أحيانا (900)ملم ، وتقل عن (200) ملم سنويا في أطرافها الجنوبية.

1-النظام الهيدروغرافي:

إن سطح هذه الولاية يمثل أحواض التجميع العليا للأودية التالية:

أ- وادي الشلف من الناحية الغربية والجنوبية.

ب- وادي شفة من الناحية الشمالية .

ج- وادي يسر من الناحية الشرقية .

د- وادي الصومام من الناحية الشرقية (لاحظ الخريطة).

هذه الشبكة الكثيفة قد شجعت على إقامة مشاريع اقتصادية هامة بالولاية ، لاسيما في سهل بني سليمان تعتمد أساسا على وفرة المياه السطحية المتدفقة شتاء ، وذلك بإقامة سدود مختلفة على أهم الأودية والشعاب بالمنطقة للاستفادة من المياه بدل ضياعها في البحر ، متسببة في الانجراف الحاد الذي يأتي على مساحات كبيرة كل سنة نظرا لشدة الانحدار وسرعة جريان المياه على شكل أودية أو شعاب سيلية باعتبار أن الشبكة المائية حديثة حداثة تكوينات الأطلس التلي الألبية (لاحظ خريطة السدود الهامة في الحوض الأعلى في وادي يسر) كمثال .

2 – النشاط الفلاحي :

استفادت هذه الولاية ببرنامج خاص في إطار سياسة التوازن الجهوي و ذلك سنة (1969) كي تعوض ما ضاع من مساحة زراعية في سهل متيجة تحت ضغط التوسع العمراني الذي لم يتوقف حتى الآن ، فعرفت الولاية انتعاشة اقتصادية هائلة ، ثم أضيفت عدة مشاريع لتدعيم البرنامج المذكور لإرساء قواعد التنمية الشاملة، فشهدت الولاية تحولات جذرية في شتى المجالات لاسيما الفلاحية منها حيث تميز قطاع الفلاحة بتنوع الإنتاج من الحبوب و الخضر والفواكه، و تربية الماشية و الدواجن حسب تنوع الظروف المناخية ولو بصورة تدريجية، التي تتربع على مساحة (8700) كلم^2 مصنفة كالتالي :

1) الأراضي الصالحة للزراعة تبلغ (3310) كلم^2 في الوسط .

2) الأراضي البور و المنحدرات تبلغ (3799) كلم^2 في الشمال و الجنوب .

3) الأراضي الغابية والأحراش تبلغ (1364) كلم^2 في الشمال و الجنوب .

4) الأراضي الصخرية والحصوية تبلغ (202) كلم^2 في الجنوب.

5) الأراضي المنتجة للحلفاء تبلغ (25) كلم^2 في الجنوب.

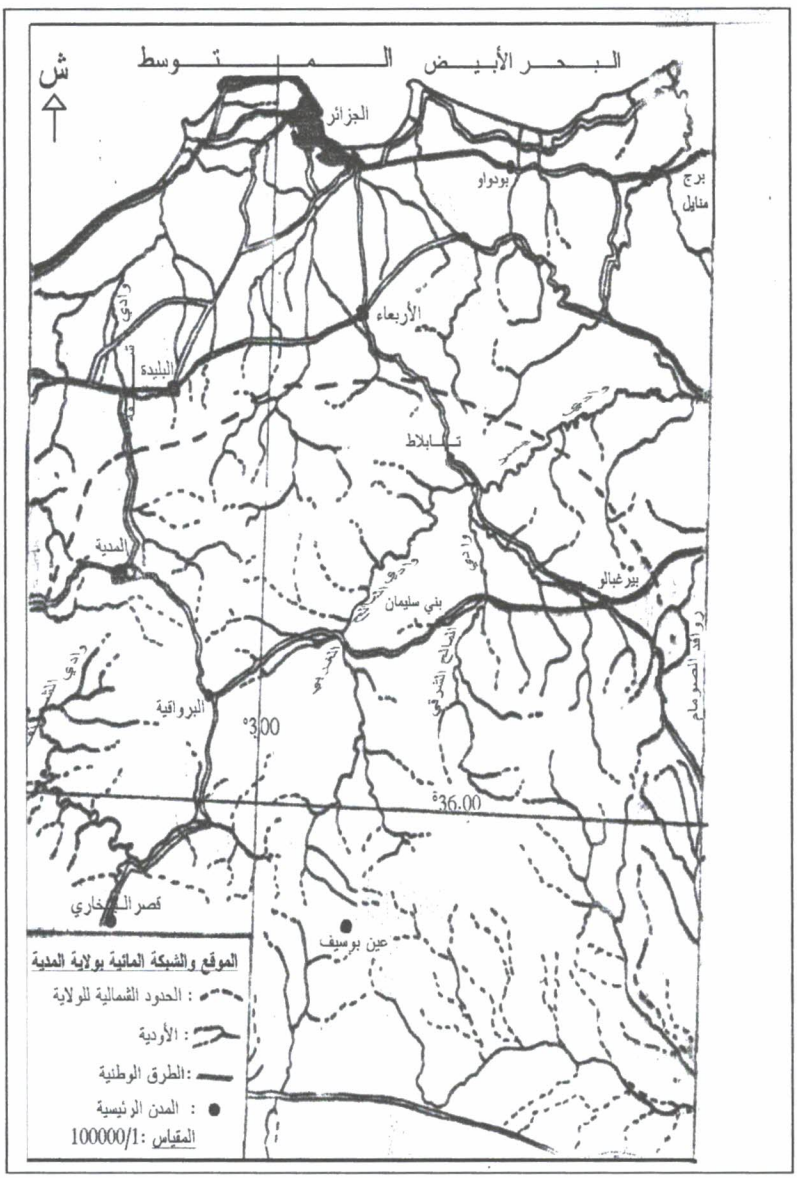

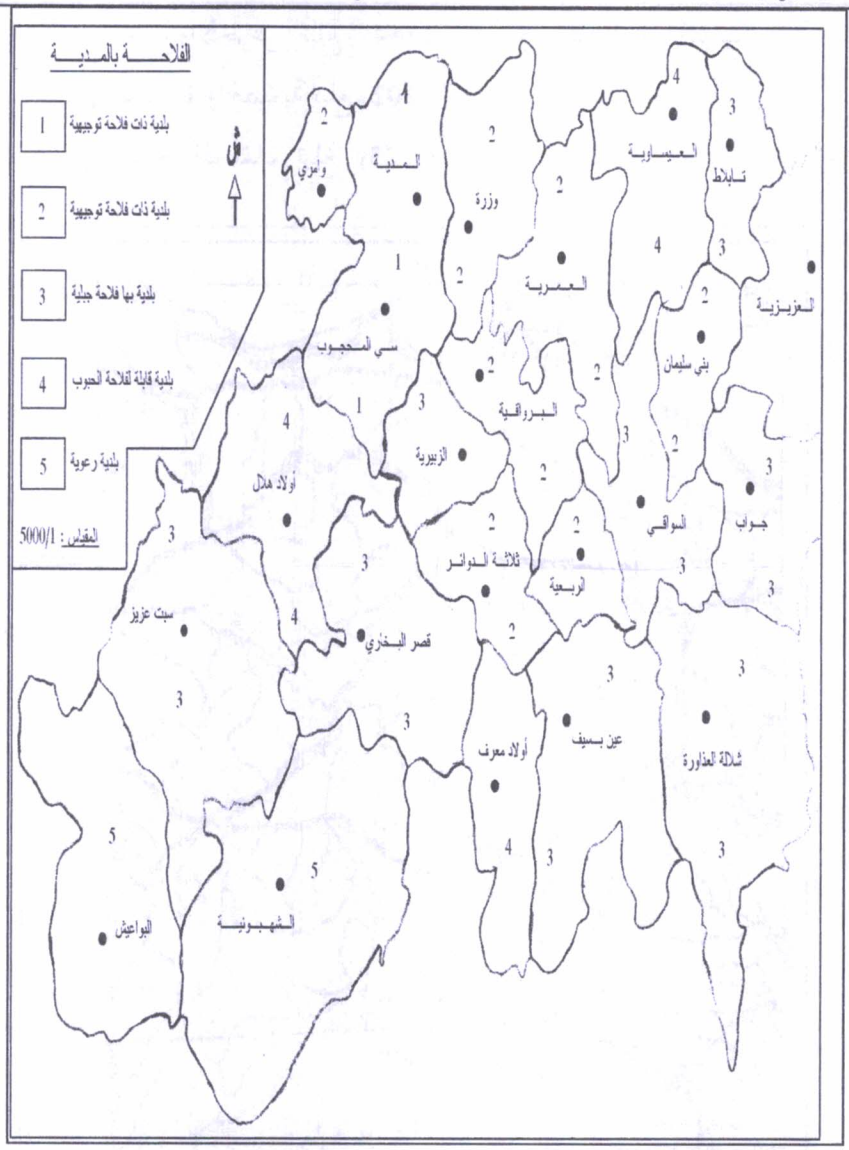
الفلاحة بالمدية
1 بلدية ذات فلاحة توجيهية
2 بلدية ذات فلاحة توجيهية
3 بلدية بها فلاحة جبلية
4 بلدية قابلة لفلاحة الحبوب
5 بلدية رعوية
المقياس: 5000/1
ش
وامري
المدية
وزرة
العيساوية
تابلاط
العمرية
العزيزية
سي المحجوب
بني سليمان
البرواقية
الزبيرية
أولاد هلال
السواقي
جواب
ثلاثة الدوائر
الربعية
سبت عزيز
قصر البخاري
عين بسيف
أولاد معرف
شلالة العذاورة
البواعيش
الشهبونية

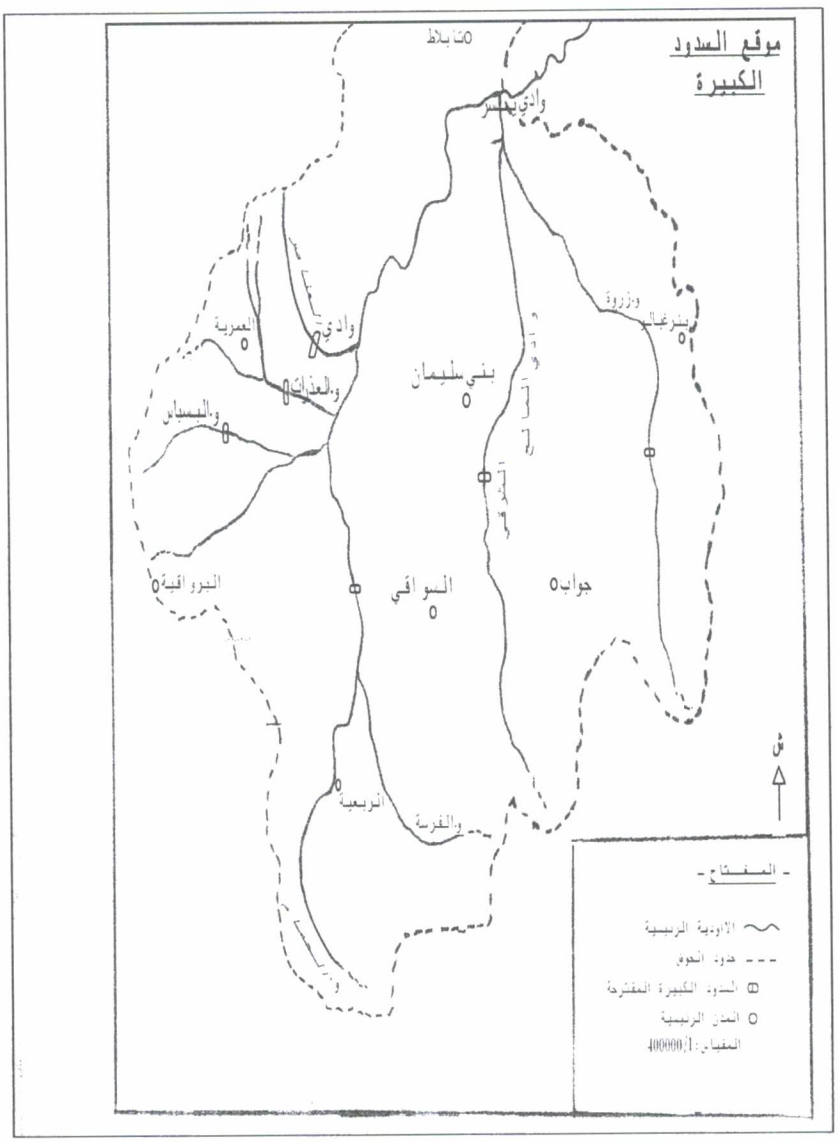

و من الإنجازات التي تحققت عبر الولاية في هذا المجال، منهـا (**3300** هـ) مرويـــة، و يغلب على هذه الولاية الزراعة الواسعة المتمثلة في إنتاج الحبوب المختلفة حيث تتجاوز المساحة التي تحرث كل موسم فلاحي (**175000** هـ) ، و لازالت الجهود متواصلة لتوسيع رقعة الأراضي الصالحة للزراعة، ذلك عن طريق الاستصلاح و حماية التربة من الانجراف واستغلال المياه بكل الوسائل لتوسيع شبكة الري ،وفي هذا المجال تم إنجاز(**23**) سدا

صغيرا، تتجاوز سعة الواحد (16000)م^3، تستغل في سقي الأراضي المجاورة وتزويد السكان بالمياه الصالحة للشرب، ويجري حاليا إنجاز(10) سدود مماثلة عبر مختلف مناطق الولاية،لاسيما منطقة بني سليمان التي تعرف نشاطا متزايدا في مجـــال الاستصـــــــلاح، و ذلك لتهيئة (270000 هـ) ، بالإضافة إلى المشروع الذي تم إنجازه سنة (1984) ببلدية العمرية و هو سد وادي العذرات ، الذي يسع(10)ملايين م^3 ويسقي حوالي (50) هـ ، وقد انتهت الأعمال به في شهر مارس سنة(1990)م ،وتتوفر لدى الولاية (3032)جرارا تتوزع على القطاعين العام و الخاص ، كما تملك الولاية(5864)آلة للحرث و(113)آلة للبذر و(279)آلة للحصاد والدرس ولها أيضا (22139)آلة ضخ لرفع المياه إلى المساحة المزروعة سواء من السدود أو من الآبار التي وضعت على مجاري الأودية الرئيسية بالمنطقة لاسيما من قبل صغار الفلاحين و قد بلغ المحصول الزراعي من الحبوب حوالي(1367000)قنطار سنة (1996-1997) ، و تزداد أو تتناقص هذه الكمية حسب الظروف المناخية .

وإلى جانب ذلك فإن زراعة الخضر و الفواكه قد نالت اهتماما بالغا حيث أصبحت مساحتها كالتالي:

(6814 هـ) للخضر، و(7437 هـ) للأشجار المثمرة كالخوخ والبرقوق والمشمـــش والتفـــاح و الإجاص وأشجار الزيتون و(6585 هـ) لإنتاج عنب الطاولة ، كما شهدت الثروة الحيوانية تحسنا ملحوظا حيث بلغ عدد رؤوس الأغنام(6160000) رأس، وحوالي (140900) رأس من البقر، البعض منها مخصص لإنتاج الحليب معدل إنتاج البقرة الواحدة بلغ (11.3)ل يوميا .

كما عرفت تربية الدواجن اهتماما كبيرا حيث تم تحقيق (1281) وحدة لإنتاج اللحوم البيضاء ، تنتج حوالي (9500)طن سنويا، وهناك (39) وحدة لإنتاج البيض بلغ إنتاجها (40) مليون بيضة في السنة.

ولقد عرفت المنطقة تذبذبا كبيرا في مختلف النشاطات خلال سنوات التسعينيات بسبب الهجرة نحو المدن الكبيرة لاسيما نحو سهل متيجة لعدم توفر الأمن .

3- النشاط الصناعي :

رغم اعتماد هذه الولاية على الاقتصاد الفلاحي نظرا للظروف الطبيعية المذكورة فقد بدأت الصناعة تبرز تدريجيا ، لتلعب دورا مكملا للنشاطات الفلاحية ، وتطبيقا لسياسة التوازن الجهوي المعتمدة من طرف الدولة ، فقد استفادت ولاية المدية بمشاريع اقتصادية هامة في مقدمتها :

أ- مركب البرواقية لصناعة وسائل الري ، ب- مركب المواد الصيدلية بالمدية .

الأول: دخل مرحلة الإنتاج سنة (**1978**) وهو يحتوي على أربع وحدات صناعية هي كالتالي :

1- وحدة المسابك وقدرتها (**9900**) طن سنويا .

2- وحدة المضخات وقدرتها (**25760**) مضخة سنويا.

3- وحدة السدادات وقدرتها (**66500**) قطعة سنويا .

4- الصيانة وهي حديثة النشأة تعتني بصيانة المعدات والتجهيزات وصناعة قطع الغيار الخاصة بالمركب ويشغل المركب ككل حوالي (**3000**) عامل ، وفي نهاية التسعينات تم تسريح أكثر من نصف العدد المذكور وهو في طريق الغلق حاليا.

والثاني: تم إنجازه حديثا ويعتبر من المؤسسات الهامة على مستوى العالم المتخلف ، ويقوم حاليا بالإنتاج التجريبي استعدادا لمرحلة الإنتاج التجاري المقررة في نهاية سنة (**1989**) إن وجدت سوقا أمام المنافسة الأوروبية ، ويشغل هذا المركب حوالي (**1000**) عامل ، ويعتبر إنتاجه منافسا لحد ما .

وهناك وحدات صناعية متوسطة وخفيفة وهي :

أ - وحدة الآجر والقرميد بالمدية ، وطاقتها الإنتاجية (**100000**) طن سنويا ، وتشغل حوالي (**210**) عمال .

ب - وحدة البلاستيك بالمدية قرب مصنع الآجر ، تتخصص في صناعة مختلف الأكياس تنتج سنويا (**8800**) طن وتشغل حوالي (**260**) عاملا .

ج - وحدة مطاحن الحبوب بقصر البخاري تنتج سنويا حوالي (600000) قنطار من الدقيق ومشتقاته ، تشغل حوالي (130) عاملا .

د - وحدة التفصيل والخياطة بقصر البخاري تنتج حوالي (1480000)بذلة سنويا خاصة بالأطفال وتشغل حوالي (120) عاملا ، جلهم من النساء .

4 – نشاطات متنوعة:

تتمثل في وحدات صغيرة متخصصة في إنتاج مواد البناء مثل:

– وحدة مناجم تكسير الصخور إلى حصى لمواد البناء بالبلديات التالية :

جواب ، العزيزية ، قصر البخاري سي المحجوب وامري ، ثم وحدة القوالب وأنابيب الإسمنت ببلدية العيساوية ، ووحدة البلاط ببلدية تابلاط.

وفي إطار المخططات الوطنية للتنمية استفادت هذه الولاية بحوالي (15660)مسكنا

– حضريا كما تم تحديد مناطق عمرانية قديمة لتجديدها بالبلديات التالية:

المدية، البرواقية، بني سليمان، تابلاط، عين بوسيف قصر البخاري ، على أساس التوسع العمراني المرتبط بالنمو الديمغرافي ، كما استفادت المناطق الريفية بحوالي(11122)مسكنا ريفيا ، والشروع في بناء (10) قرى فلاحية للتخفيف من حدة الطلب على السكن والاتجاه نحو تعمير الريف ليقل الضغط على المدن ، إلا أن عدم استقرار الوضع الأمني الحالي حال دون تحقيق ذلك.

ومن أهم العوامل المساعدة على النشاط الاقتصادي شبكة الطرق لفك العزلة عن المناطق النائية و في مقدمة ما تم إنجازه :

أ . توسيع الطريق الوطني رقم (1) على امتداد(51) كلم.

ب . توسيع وشق الطريق الولائي رقم(91)بين تابلاط وعين بسام شرقا على امتداد (22) كلم

ج . و كذلك الطريق الولائي رقم(94)بين جواب و شلالة العذاورة شرق الولاية على امتداد (29) كلم.

و هكذا نجد أن مسافة الطرق الوطنية التي تمر بتراب الولاية تبلغ (547)كلـــم ، و الولائية تبلغ (986)كلم والبلدية تبلغ(1181)كلم منها (390)كلم معبدة و الباقي عبارة عن مسالك صعبة الاستعمال لاسيما في الشتاء.

5- السكان والعمالة:

لقد بلغ عدد سكان الولاية(566561) نسمة ، يتوزعون على بلدياتها البالغة(64) بلدية ضمن (7) دوائر، وبذلك نجد أن الكثافة السكانية تبلغ (73.9) نسمة في كلم^2، على مستوى الولاية وأن نسبة الدوائر من العدد الإجمالي كالتالي :

الرقم	الدائرة	النسب %
01	قصر البخاري	19.83
02	بني سليمان	15.84
03	عين يوسف	14.75
04	تابلاط	14.43
05	البرواقية	13.67
06	وزرة – المدية	11.31
07	العمرية	10.64

كما تجدر الإشارة إلى أن عدد السكان العاملين بالولاية قد بلغ (115719)عاملا ، و أن عدد البطالين بلغ(34704) بطال ، و أن مجموع القادرين على العمل بلغ(125423) شخصا ، و يتوزع العاملون منهم حسب مختلف النشاطات الاقتصادية كالتالي :

الرقم	النشاطات	النسب%
01	النشاطات المختلفة (49241) عاملاً	42.55
02	النشاطات الفلاحية (37525) عاملاً	32.52
03	البناء و النقل و المواصلات (17377)عاملاً	15.01
04	النشاطات الصناعية (11576) عاملاً	10.00

وإن قارنا بين الشبكة المائية والنشاطات الاقتصادية وكثافة السكان عبر الولاية نلاحظ ما يلي :

- تركز النشاط الفلاحي المستقر والتوجيهي حيث يزيد متوسط التساقط عن (500) ملم سنويا وذلك في الجهات الشمالية والوسطى من الولاية ، حيث يمكن استغلال المياه

في الري كما هو الحالفي ضواحي المدية والعمرية حيث نجد زراعة الكروم ومختلف الأشجار المثمرة .

– وكذا الأمر بالنسبة لكثافة السكان مثلما هو الحال في البلديات التالية :

المدية ، قصر البخاري ، البرواقية ، بني سليمان ، تابلاط ، العمرية ، وحيث تقل نسبة المياه مع زيادة الميل أو تناقصها طبيعيا في اتجاه الجنوب ، نلاحظ النشاطات تقتصر على الزراعات الجبلية القليلة المردود مع تربية الماشية وذلك في مناطق تقسيم المياه وسفوح المرتفعات الواقعة بين الأودية والشعاب .

ولابد من الإشارة إلى أن الأرقام والنسب المذكورة تتزايد وتتناقص حسب توفر الظروف الأمنية أو انعدامها ويعتبر هذا العامل عاما لكل المناطق المشابهة على المستوى الوطني .

الخاتمة

هذه المنجزات الاقتصادية التي تحققت طيلة نصف قرن تقريبا في ظل الحرية لاسيما الفلاحية منها ، ستتدهور تدريجيا إذا لم تستمر العناية والمحافظة على التربة ونظام الجريان ، وذلك بحماية حواف الأودية والطرق والتشجير ، وبناء المتاريس للتقليل من حدة الانجراف ، وإقامة المدرجات على السفوح وتشجيرها ورعايتها من الانسداد والتدهور ، وكل ما قيل إنما هو عبارة عن عينة لقائمة طويلة لا يمكن سردها في مثل هذه المقالة المتواضعة التي أردت من خلالها الإحاطة بأهم المنجزات الاقتصادية للولاية وإبرازها للمهتمين بهذا الميدان فالذي يزور ولاية المدية اليوم يرى بوضوح ذلك التطور في ميدان البناء والتشييد ، وقد كان لهذه التحولات الأثر الفعال على حياة المواطنين ، وتهيئة أرضية صالحة لبناء مجتمع مزدهر وراق ، إن توفرت العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات بين أفرادها .

المراجع والمصادر:

1- الأطلس البليدي ،- المناخ والحيوية — ل : د.حليمي عبد القادر .دكتوراه الدولة (1980).

2- المناطق الغابية للدولة ، صادر عن وزارة المياه والبيئة والغابات (1984).

3- الوسط الطبيعي واستعمال الأرض في سهل بني سليمان ،رسالة دكتوراه الدولة لصاحب هذا المقال (1990).

4- SELTZER . P(1946) Climat de l'Algérie – Alger.

منشورات ووثائق:

1- مديرية الفلاحة بالمدية ، وثائق غير منشورة .

2- مديرية الغابات بالمدية ، وثائق غير منشورة .

3- مديرية المياه والري بالمدية، وثائق غير منشورة.

4- مديرية السكن والسكان بالمدية، وثائق غير منشورة

5- الإحصاء العام لسنة (1987) وإحصاء سنة (1997).

6- مديرية تربية الأنعام بالمدية وثائق غير منشورة .

7- مديرية الطرق بالمدية بالمدية ، وثائق غير منشورة

8- مديرية الصناعة بالمدية ، وثائق غير منشورة